جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع.

المؤتمر الدولي التكويني لطلبة الدكتوراه العلوم الاجتماعية
النظرية الاجتماعية الممارسات التطبيقية والافاق

أ. سميرة عشور
جامعة باتنة
samira.achour@univ-batna.dz

أ. خلفاوي حسين
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
Khelfaouihocine288@gmail.com

المحور الثالث: قراءة متجددة في الميكانيزم المفاهيمي للنظرية الاجتماعية

عنوان المداخلة: قراءة في المفهوم المركزي "الهابيتوس" لـ بيير بورديو

الملخص:

تُرى الباحث الفرنسي بيير بورديوالسوسيولوجيا المعاصرة بجملة من مفاهيم الاجرائية التي حاول من خلالها أن يقدم نظرية متكاملة بجهاز مفاهيمي مركب ومرتبط أساسا بأعمال مفكرين ومدارس فكرية سابقة، بغية فهم وتفسير الواقع الاجتماعي والتي لا يمكن تجاوزها أثناء ممارسة البحث السوسيولوجي، وقد انصبت إهتماماته على الطريقة التي يعيد بها المجتمع إنتاج التراتبية الطبقية نفسها بالتركيز على العوامل الثقافية والرمزية بدلا من التشديد على العوامل الاقتصادية التي كانت لها أهمية معتبرة بالمقاربة الماركسية الكلاسيكية وجعل من الممارسة السوسيولوجية أداة فعالة للنقد الجذري وكشف المضمر واستنطاق المسكوت عنه.

الورقة البحثية تسعى الى البحث في مفهوم الهابيتوس الذي يربط الفعل ببنية المجتمع في اطار تكوينه، وتعطي الاهمية بدرجة اولى للفاعل وللبنية المجتمعية على حد سواء ومن هنا تبرز اهمية الدراسة في البحث عن معنى هذا المفهوم المركزي "الهابيتوس" وتحديد اصوله وابعاده وتصنيفاته من خلال الاشتغال على الدلالة المعجمية العامة لهذا اللفظ وكذا الاشتغال على خلفيتهالسوسيولوجية، بهدف الوقوف على فهم وتأويل الفعل الاجتماعي والكشف عن هذا المفهوم الحاضر في البحث السوسيولوجي والفكري المعاصر.

الكلمات المفتاحية: الهابيتوس- بيير بورديو- الممارسة السوسيولوجية

Abstract

The French scholar Pierre Bourdieu enriched contemporary sociology with a set of procedural concepts through which he attempted to present an overall theory with a conceptual device in order to understand and interpret social reality when practicing the sociological research. He focused on the way society reproduces the same class hierarchy by focusing on the cultural and symbolic factors instead of stressing on the economic elements that enjoyed considerable importance to the classical Marxist approach, and made sociological practice an effective tool for radical criticism to reveal the hidden factors and interrogate the unspoken ideas.

Pierre Bourdieu adopted a set of sociological concepts in his research, which —in turn-had an impact on many philosophical & sociology schools. Through this research paper, we seek to identify the concept of Habitus, which links action to the structure of society within the framework of its formation and gives priority to the actor and the social structure alike. This paper tries as well identify the meaning of this central concept "Habitus" and determine its origins, dimensions and classifications by focusing on the general lexical significance of this word, as well as determining its sociological connotations in order to understand the social action and to identify this concept in sociological research in order to deeply explain its special implications in the sociological texts of Pierre Bourdieu.

Keywords: Habitus. Pierre Bourdieu, Sociological Practice

مقدمة

بيير بورديو نموذج للمثقف الملتزم والمناضل ، قدم إضافات للفكر السوسيولجي على المستوى المفاهيمي والتحليلي ، فقد عرف بفكره السوسيولوجي و إنجازاته في مجال البحث لإنتاج مقاربات عميقة المبنى والمعنى ، فهو أهم المفكرين الفرنسيين الذين وضعوا بصمتهم الابستيمية داخل السيرورة التاريخية للفكر، فقد أسهمت أعماله السوسيولوجية في إغناء هذا الحقلالمعرفي و إعطائه دافعية ودلالة ذات حمولة سوسيولوجية.

وقد ارتكز بورديو في عرض إنتاجه الفكري على تقديم منظور إبستمولوجي لمعالجة الإشكالية القائمة بين ثنائية الموضوعي والذاتي ضمن مساعيه الرامية في الإدراك الأفضل للعالم الإجتماعيحيث استطاع من خلال أعمالهابتكار جهازه المفاهيمي الذي ساعده على تطوير تخصصه لمعرفة واقعه الإجتماعي .

طرح بورديو منظومة مفهومية جديدة ترتكز عليها رؤيته للواقع وهي رؤية مخالفة ومغايرة في كثير من جوانبها للرؤية الكلاسيكية في علم الاجتماع، فقد قدم بورديو مصطلحات فنية تبدو للوهلة الأولى غامضة وصعبة ، بيد أن خلف هذه المفاهيم والمصطلحات المتنوعة والمركبة تكمن منظومه من المبادئ النظرية و الأدوات التصورية والمقاصد العلمية و السياسية التي منحت كتابات بورديو تماسكو انتظامابستمولوجي متكامل.

أعاد بورديو قراءة المفاهيم الكلاسيكية في علم الإجتماع و أضفى عليها أبعادا جديدة ومنحها أفاقا سوسيولوجية ، كما أنه قام بصياغة مفاهيم جديدة أهمها الهابيتوس حيث ساهمت به في ثراء المعجم السوسيولوجي ومن ثم تطوير النظرية في علم الاجتماع.

الدراسة لفكر بزرديو تعترضه جملة من المفاهيم لا يستطيع الباحث تجاوزها أو المرور عليها دون أن يفهم المغزى الحقيقي للتوظيف الإجرائي المقصود والهدف الرئيسي وراء استحضار و تطوير المفاهيم في مشروعه ، كمفهوم الهابيتوس مثلا .

من خلال هذه الورقة البحثية وفي هذا السياق سنناقش مفهوم الهابيتوس المفهوم المركزي في فكر بيير بورديو وسنحاول الوصول الى ركيزته الفكرية الاساسية مع البحث في الخلفية الفلسفية الخاصة به.

انطلاقا مما سبق طرحه يمكن للورقة تقديم تساؤل موجه لمجموع الافكار التي ستعالجها:

_ إذا كان الهابيتوس عبارة عن نظام استعدادات ومبدأ مولد للفعل وناتجا له إلى أي حد إستطاع بيير بورديو من خلال مفهومه مجاوزة الثنائية الكلاسيكية (حرية - حتمية) المفسرة للفعل الاجتماعي ؟

1- إيتومولوجيا المفهوم :

إن البحث العلمي يتطلب القيام بعملية الحفر في المفاهيم عنها من خلال البحث عن كيفية نشؤوئها، مع الأخذ بعين الإعتبار السياقات الثقافية والحضارية التي تولدت منها و إلى طريقة ترحال هذه المفاهيم من سياق إلى لآخر غير السياق الذي إكتشفت فيه أو بعبارة أخرى رصد عوامل التأثر التي يحدثها المفهوم إذا ما تم زحزحته من مجاله إلى مجالات أخرى ، إضافة إلى ضرورة إستبعاد كل التصورات المسبقة التي تم توريثها عنه.

وفي الواقع ، التراث النظري الذي يدور حول إيتمولوجيا المفهوم جد ثري والذي شكل موضوع نقاشات متجددة ، حيث يؤشر الأصل اللاشيء للمفهوم أنه سليل تاريخ فلسفي طويل قبل أن يأخذ طابعه السوسيولوجي اللص والمتميـ ـز مع بورديو إذ يتكرر من الكلمة اللاتينية المستخدمة من قبل التقاليد المدرسية وهو ترجمة لكلمة Hexis اليونانية من قبل ارسطو التي كانت تعني الاستعدادات المكتسبة من الجسم والروح.

(Claude Dubar, 2015 ; p65).

فقد ميـ ـز نظرية الرأسمال الثقافي أو بالأحرى الفلسفة البنائية التكوينية لبورديوبإبتداعها لمفهوم الهبتوس أو الأيبتوس ، الذي يتشكل عبر الزمن لدى الأفراد من وعي أو غير وعي لإدراك واقعهم والتعامل مع ظروف تواجدهم وفق ما تقتضيه مواقعهم الاجتماعية.**(صبور محمد، 1995؛ ص35)**

إن البناء النظري والفلسفي لا يصاغ من خواء أو فراغ اجتماعي فكل صرح علمي لا بد أن ينسج ضمن سياق خاص يقولب الاشكاليات ، بمعنى أن الثراء المعرفي والزخم الفكري لبورديو لم يخلق من العدم وهذا ما ترجمته لنا سيرته الأكاديمية و إنتاجه الفكري سواء في ميدان الفلسفة أو علم الاجتماع .

(مالية حمداني ، 2009 ؛ ص 34.)

لنؤكد في ذات السياق في كتاباته (بيير بورديو) أن ثمرة اشتغاله في ميدان البحث في الجزائر يعتبر ركيزة أساسية ، وبالفعل وقد تمكن في هذا العالم والمفكر الذي أجرى أبحاثه الإنتوغرافيةوالأنثروبولوجية المتميزة في جزء من المنطقة الأمازيغية" القبائل الكبرى" إبان الحقبة الاستعمارية الفرنسية للجزائر وبعدها من إدخال تعديلات وتغيرات حاسمة على مفاهيم الحقل السوسيولوجي.

كما يقول " إن أغلبية المفاهيم التي أطرت أعمالي في علم اجتماع التربية وعلم الاجتماع الثقافي ولدت من تعميم نتائج أعمالي الأنثرولوجية والاجتماعية التي أنشأتها في الجزائر، إن المجتمع الجزائري كان بمثابة منتج أو بالأحرى ميدان خصب لولادة وصياغة النظريات الاجتماعية، وعليه نستطيع القول بأن تجربة بورديو بالجزائر قد منحته أفقا فكريا جديد استعملتنقد بعض المسلـ ـمات النظرية الأوروبية.**(مالية حمداني ، 2009 ؛ ص 34.)**

إضافة إلى ما أشرنا إليه سابقا قبل الحديث عن مفهوم الهابيتوس عند بورديو ومستوياته النظرية وخصائصه لابد من الوقوف على الدلالة المعجمية الواردة في المعجم السوسيولوجي .

فهو كفكرة ليست بمستجدة على حقل التنظير السيولوجي ، فإميل دوركايم قد سبقه في دراسة البعد الدلالي لهذا المفهوم ، إذ إستخدمه في دورته المنشورة بعنوان " **التطور التربوي في فرنسا** حيث قال:" توجد في كل منـ ـا حالة داخلية تنبثق منها الحالات الأخرى وتجدفيها وحدتها وعلى هذه الحالة يجب على القائم على التربية أن يمارس عمله الدائم، إنه إستعداد عام للعقل والإرادة والذي يجعلنا نرى الأشياء على نحو ما".

(Claude Dubar, 2015 ; p65)

ويقول بورديو في هذا السياق " إن نظام الاستعدادات والتصورات Hobitus هو مبدأ مولد موحد يعيد ترجمة الخصائص الملازمة والعلائقية لوضع مأمن خلال نمط في الحية موحد أو مجموعة موحدة من إختيارات الأشخاص والممتلكات والممارسات. "**(تر: أنور مغيث، 1996 ؛ ص31)**

كما يرى بورديو أن الهابيتوس عبارة عن مبدأ مولد أو فكرة مولدة للأفكار والممارسات أو نظام يسمح بخلق استراتيجيات ومواقف، فالفرد يجدد أفكاره ويبني مواضعه ويعيد بناءها كما أنه مبدأ موحد أو فكرة منسجمة ومنظمة. **(علي سالم ، بيار بورديو، 1996- 1997 ؛ ص 124)**

2- إعادة بناء مفهوم الهابيتوس مع بورديو

لقد شدد بيير يورديو على أهمية النسبة الإ جتماعية في تشكيل أفعال الأفراد من جهة والمناهج الذاتية من جهة أخرى والتي بدورها تركز على أفكار الجهات الفاعلة اجتماعيا وقيمتها التي تحفز أفعالهم من جهة أخرى ، و أشار إلى أن هذين المنهجين توافقا ضمن مفهومه المفتاحيهابتوس " العادات" وهو مفهوم يفترض به استيعاب طريقة تشكيل الظروفالاجتماعية أفعال الأفراد فضلا عن إثبات أن الأفراد، ضمن حدود معينة قادرون على الاستجابة بطرق إبداعية لظروف التي يرون أنفسهم في ظلها.

ويشير الهابيتوس " العادات" بشكل رئيسي إلى الطرق المميزة في التفكير والشعور والتصرف وخوض التجارب التي بشارك بها أفراد المجموعة الواحدة .(تر: لما نصير، 2012 ؛ ص 243)

وبذلك فإن مصطلح الهابيتوس في الدلالة على مجموع الاستعدادات الجسدية والذهنية الدائمة التي تترتب على عملية التنشئة الاجتماعية للفرد والتي تجعل منه فاعلا اجتماعيا في إطار حقل أو مجال اجتماعي محدد، وتعمل هذه الاستعداداتباعتبارها نظاما للخطط المولدة ، فهي مولدة لاستراتيجيات تكون مطابقة على نحو موضوعي لمصالح معينة من الأفراد وتنشر بهم نمط معين من أنماط الوجود ويمكن القول أنه الواقع الاجتماعي يوجد مرتين : في الأشياء وفي الأذهان في الحقول وفي الهابيتوسخارج الفاعلين أو داخلهم ونتيجة لذلك يعبـ ـر الهابيتوس عن مواقف يتم فيها إستدماج الواقع الخارجي بالنسبة إلى الفرد والتجسيد الخارجي لذاتية ذلك الفرد.

(عبد الوهاب أشرف ، 1999 ؛ ص ، ص 105-107)

ويتعلـ ـق الأمر بالتصور المركزي لفكر بورديو، فهو مثقل بوظيفة نظرية معتبرة ، أنه يشتغل(ترادفي) مع مفهوم الحقل، فالهابيتوس هو بالفعل وجود موضوعي بالقوةأو كما يقول **بيرس** " وجود فعلي بالقوة" ينزع لأن يخرج حيز الفعل، و أن يفعل فعله في الممارسات والتمثيلات التي يصوغها على الدوام.

فالهابيتوس ينتج أفعالا في الوقت الذي يكون منتجا هو نفسه من لدن التكيفات التاريخية والإ جتماعية وهذا لا يعني أنه محدد نهائيا، إنه يولد بطريقة غير آلية ، سلوكات مكيفة موضوعيا مع منطق الحقل الاجتماعي المعني ومسموح بها ، فهي إذن محددة من طرفه.

إن الهابيتوس يسوغ لنا ملامح الحياة الاجتماعية بحيث يجعلها طبيعية ومسلمات بناها المجتمع فعلا ثم أقلمها لتصير شرعية .**(تر: الزهرة ابراهيم، 2013 ، ص ص 284 -285)**

فالهابيتوس هو نظام من الخطط الواعية وغير الواعية في التفكير والإدراك والاستعدادات التي تعمل كوسيط بين البنى الموضوعية والممارسة، ويفسر الهابيتوس عملية إعادة إنتاج الهيمنة الاجتماعية والثقافية لأن

الأفعال والأفكار و الأفعال التي يولدها تتواءم مع النظم الموضوعية أو النظم التي يمكن ملاحظتها إمبريقيا في الواقع الاجتماعي.**(Mander , Margs , 1987; p428)**

3- الدلالة السوسيولوجية لمفهوم الهابيتوس عند بيير بورديو :

قد أشرنا سابقا على ان الهابيتوس(Hebitus) يعد منظوما مركزيا في أعمال بيير بورديو عند معالجته للظواهر السوسيولوجية لفهم طبيعة الممارسات الاجتماعية و معه يتداخل الحقل والرأسمال، فهو بالنسبة له نظام الاستعدادات والتصورات ، نظام يسمح بخلق استراتيجيات و مواقف". **(عبد الغني عماد ، 2008 ؛ ص 99)**

تمكن الأفراد من تحديد أذواقهم وتوجهاتهم ويتم من خلال هذه العملية الوصول إلى توافق بين أنظمة الاستعدادات والبنى المعرفية و أنظمة الحياة الاجتماعية للأفراد، تترجم بتصرفات معينة وكأنظمة للحقيقة الخارجية.**(تر: عادل العوا ، 2000 ؛ ص ص 103-104)**

فالهابيتوس هو تغيير حسب بورديو عن ميولات الأفراد تعمل في نطاق الخبرات السابقة للفرد وتركب معها ليتمكن الأفراد في آخر المطاف من القيام بعدة أعمال و باعتباره نتاجا تاريخيا ، فالهابيتوس يخلق ممارسات فردية وجماعية .**(Philipe Cabin, 2000 , p 186)**

وانطلاقا من هذا تتضمن التنشئة الاجتماعية غرس العادات " في أذهان الأفراد، فتنغرس في أذهان الأفراد منذ الولادة قيم المجموعة و أفكارها وسلوكياتها، ولكن لا تكون مثل هذه التنشئة الاجتماعية عملية فحسب، فهي أعمق من ذلك لأنها تشكل أيضا جسد الفرد بطريقة تتمثل ميزات " العادات" لتلك المجموعة ، وتنغرس الأشكال الضمنية في البنية الجسدية للفرد ، الإشارات الأكثر تلقائية أو التقنيات الجسدية التي تبدو غير مهمة مثل طرق المشي وطرق الأكل والتحدث.

إذن تعني التنشئة الاجتماعية المبكرة التي تنغرز مع نمو الطفل داخل المجموعة، فعقل الفرد وجسده يشكلان بطرق نمو حية تتناسب وكرق التفكير والسلوك المميزة لتلك المجموعة.**(تر: لما نصير، 2012 ؛ ص 243)**

وهذا ما جعل DUBAR يتحدث عن التنشئة الاجتماعيةكاستبطانللهابيتوس الذي يشير إلى مجموعة من الاستعدادات المتعلمة و إلى أخطوطات الإدراك وإلى التقييم والممارسة التي يتم تلقينها في محيط اجتماعي محدد، وتساهم الأسرة والمدرسة و الإعلام ... بدور حاسم في بناء هذه الآلية التي تحمل سمات الطبقة التي ينتمي إليها الفرد، لذا فمفهوم الهابيتوس هو عبارة عن تلك البيئة المولدة لكل ممارسة والموجهة لكل ما هو مقبول وما هو مرفوض من جانب الفرد ، فهو يضع حدودا للطموح وللحلم لدى الأشخاص.**(Pierre BOURDIEU, 1972 , p188)**

ولعل هذا السياق الإبتستمي الموجه للمشروع السوسيولوجي القدي لبيير بورديو القائم أساسا على مفهوم " الهابيتوس" ويعود تاريخ أول توظيف علمي لهذا المفهوم إلى دراسته الأنثرولوجية والسيسيولوجيا الأولى كما أشرنا سابقابالجزائر ـ تحديد بالمجتمع القبائلي ، ليوظفه في مرحلة الثمانينات بشكل علمي أدق وذلك في كتابه les sens pratique .

وقد عر ـفه قائلا :" الخصائص المشتركة لطبقة معينة من خلال ظروف حياته تنتج "**Les Habitus**"كأنسقة من الاستعدادات الدائمة والقابلة للتحويل وكبنيات منتظمة ، قابلة لكي تعمل كبنيات ناظمة.

(هشام صالح ، 1995 ؛ ص69)

أي كمبادئ مولدة ومنظمة للممارسات والتمثلات قادرة على التكيف موضوعيا بأهدافها دون وعي مفترض مسبقا ودون التحكم في العمليات الضرورية لتحقيق تلك الأهداف وينتظم كل هذا موضوعيا وبطريقة منتظمة بعيدا على ان يكون ذلك نتيجة للخضوع لقواعد ما أو لفعل ما منتظم ناتج عن مصدر ما .

و إذا بحثنا في السياق الإبستيمي تشكل مفهوم الهابيتوس سنجد أن المفهوم شكل على مرحلتين، الأولى أثناء دراسته لطقوس المجتمع القبائلي، تناول خلالها الممارسات الرمزية لمجتمعات ما قبل الرأسمالية، حينها أخذ الهابيتوسرؤية حتمية صارمة - على حد تعبير كاترين باراداياز- وهو ما دفعه فيما بعد المرحلة الثانية إلى مراجعته ثانية و إعادة صياغته لتلاءم مع طبيعة المجتمعات الرأسمالية الاستقلالية المتزايدة للحقول ، التقسيم الاجتماعي ، الطبقات الاجتماعية .**(عائشة نجار ، 2020 ؛ ص 536)**

ولقد تحلى المفهوم لدلالات فلسفية وسوسيولوجية مختلفة في آن واحد كطريقة في الوجود أو المظهر العام أو الزي أو حالة ذهنية، كما أنه يعني بشكل من أشكال الثقافة والحضارة ونمط من أنماط العيش والحضور في العالم ، كما نقل **بيار ،صار** عن بورديوالهابيتوس هو مركز الإلتقاء الهندسي للحتميات وتحديد الإحتمالات والحظوظ المعيشية للمستقبل الموضوعي والمشروع الذاتي الطابع.**(بيير أنصار ، 1992 ؛ ص 37)**

والهابيتوس يعر ّفه بورديو في قوله :" **إن الاشتراطات المشتركة لطبقة معينة من خلال ظروف حياتية تنتج هابتوسات، كنسق من الاستعدادات الدائمة ، والقابلة للنقل ، وبنى مبينة مهيأة للاشتغال كبنى أي كمبادئ مولدة ومنظمة للممارسات والتمثلات ، التي تستطيع أن تكف هدفها موضوعيا دون افتراضمقصد واعي للغايات** "...

(Pierre BOURDIEU, 1984 , p25)

من خلال تفكيك هذا التعريف نستنتج أن الهابيتوس بمثابة إطار تأويلي بين كيف يعمل العالم وكيف يقع تقييم الأشياء ، ويشير إلى ان تعاملنا مع المفهوم في المراجع العربية أو الترجمات نجده ورد بمصطلحات ّ مت ونصل إلى استنتاج مفاده أن الهابيتوس أو نظام ا ّستعدادات والتصورات يدخل في تربية وتنشأة الفاعل، فهو يطمح إلى اكتسابه جاز لنا التعبير عن طريق التعود والجهد وهو متعل ّ ق بجل مظاهر الحياة الاجتماعية .

4- أصناف الهابيتوس

يميز بورديو بين نوعين من هذا الهابيتوس ، كما أشرنا سابقا أن نظرية الرأسمال الثقافي أو الفلسفة البنائية التكوينية لبورديوبإبتداعها لمفهوم الأبيتوس ، الذي يتشكل عبر ما يتراكم في الزمن لدى الأفراد من وعي أو من غير وعي لإدراك واقعهم والتعامل مع ظروف تواجدهم وفق ما تقتضيه مواقعهم الاجتماعية المختلفة .

(صبور محمد، 1995؛ ص35)

ولقد اختلف المترجمون في نقل هذا المفهوم فنجد البعض وظف كلمة "الطابع" والبعض الآخر استمل عبارة "بنية الاستعدادات المكتسبة " وكذا لفظ "السمة"... إلخ .

ولقد استجدبورديو بهذا المفهوم لأول مرة في تحقيقاته الأولى في الجزائر ، ثم طوره في عمله حول إعادة الإنتاج إلا أنه لم يخترع هذا المفهوم اللاتيني من العدم بل قد تم استعارته من الفلسفة.**(Bernaud , 2008 ; p92)**

فالهابيتوسهو بمثابة المحر ّك الأساسي لكل سلوكيات الأفراد وتصرفاتهم ، كما يعرفه البعض على أنه نسق التنظيمات والترتيبات المرتبطة بمسار اجتماعي معين .**(عبد العزيز خواجة، 2005 ؛ ص 90)**

شكل الهابيتوس يمر عبر مجموعة من المحطات التاريخية في حياة الفرد وتجاربه الخاصة عبر مختلف الحقول التي يحتك بها عبر مختلف المؤسسات الاجتماعية التي يشرب قوانينها وقواعدها ويمكن التميز بين أصناف من الهابيتوس الأولي و الهابيتوس الثانوي.

4-1- الهايتوس بين الأولي والثانوي :

نظرا للتعدد في المؤسسات التربية والتنشئة الاجتماعية والتعدد في مسار ات وتجارب الفرد، يمكن تمييز من خلال هذا الطرح بين صنفين من الهابيتوس الأولي والثانوي .

4-2- الهابيتوس الأولي (Habitus primaire)

هو نتاج التنشئة الأسرية من خلال المراحل الأولى من الطفولة ، حيث يتم بناء المخططات الأولى ويستبطن الطفل المعايير والأدوار الخاصة بالأسرة وبالطبقة التي ينتمي إليها ويعتبر بورديو أن الفعل التربوي الذي يحدد خلال مرحلة التربية الأولية هو المحدد الحاسم في بناء الهابيتوس، حيث يصعب فيما بعد تغييره بشكل جوهري ، ويحمل الهابيتوس الأولي الخصائص الاجتماعية للأسر والطبقة التي ينحدر منها ، حيث يكتسب الطفل عبر تجاربه المتراكمة الذوق و الإحساس و أساليب العيش وهذا ما سماه بورديو" إيتوس الطبقة" éthos de classe، فهو يشكل عن طريق التجارب المندمجة في وحدة مكونة لبيوغرافيا صارمة، تنتظم إنطلاقا من الوضعيات الأصلية والمعيشية لطبقة معينة في إطار صنف محدد والبنية الأسرية. **(Pierre BOURDIEU, 1972 , p188)**

4-3- الهابيتوس الثانوي (Habitus secondaire)

إذا كان الهابيتوس الأولي يتشكل خلال المراحل الأولى من الطفولة عن طريق التنشئة وإستنباط الخصائص الأسرية والاجتماعية من لدن الطفل، فالهالبتوس يتكون بدوره من خلال مرحلة التنشئة المدرسية التي تكرس ثقافة الطبقة المسيطرة وتضفي عليه وتمارس نوعا من العنف الرمزي على أبناء الطبقات المحرومة الذين يمتلكون هابتوس مختلف عن ذلك الذي يمتلكه الورثة . **(BOURDIEU (P), 1984 , p25)**

إن البيئة التي يعيش فيها الطلبة وتحديد الوسط العائلي دور كبير في تحديد توجهاتهم كمال أنها تؤثر على تصورهم للعلاقة مع المدرسة والفشل المدرسي .

إن الأطفال المنحدرين من وسط اجتماعي متدن ليست لهم نفس الطموحات وفرص النجاح من أولئكالذين ينحدرون من عائلات ميسورة الحال.

تعيد المدرسة إنتاج اللامساواةالاجتماعية وفي هذا السياق ربط بورديو بين الثقافة العائلية والنجاح المدرسي من خلال نظام الاستعدادات الخاص بكل طبقة اجتماعية والمتكون من نظام العادات التمثلات، و العلاقة مع العالم المحيط بالأفراد، غير أن هذا **الهابيتوس** غير واع يدمج في ذواتنا بشكل غير إرادي ، حاجبا عن الطروف الاجتماعية لإنتاج تصرفاتنا و آرائنا .**(لمياء مرتاض نفوسي، 2017؛ ص238)**

4-4- الهابيتوس بين الفردي والجماعي

إن علاقة الهابيتوس الفردي بالهابيتوس الجماعي هي علاقة مبنية على أساس تفاعلي، بحيث أن هابتوس فرد ما يتحدد من خلال الجماعة أو الطبقة التي ينتمي إليها ، كما أن هابتوس الطبقة أو الجماعة ما هو إلا مجموعة

من الهابيتوسات الفردية التي تختلف من فرد لآخر في جوانب معينة وقد تتوحد في جوانب أخرى كثيرة حسب تجارب الأفراد ومساراتهم الشخصية .

فالهابيتوس الجماعي هو خطاطة موحدة ومتجانسة للتصورات والإدراكات والأفعال التي يحملها أعضاء طبقة أو جماعة ما ، ويختلف عن الهابيتوس الفردي لكونه يعبر عن التعددية داخل وحدة متجانسة.

(صلاح الدين لعريني، 2014 ؛ ص 70)

والحقيقة الذي يحدد الهابيتوس كنظام استعدادات أو كشرط أساسي لأي ممارسة هو الإحساس بالمصلحة وراء هذا الفعل أو ذاك هذه المصلحة ترتبط بطبيعة الهابيتوس سواء أكانت فردية عائلية أو طبيعية .

(لمياء مرتاض نفوس، 2017 ؛ ص237)

وينظر بورديو إلى الهابيتوس من خلال ثلاثة مستويات تتفاعل مع بعضها وهي كما سبق وأشرنا سابقا : هابتوس الفرد ويقصد به الفرد القادر على التجديد والتشكيل ويمتلك نسقا من الاستعدادات يستطيع أن يكافح به في الحياة، وهابتوس الجماعة المحلية المحيطة بالفرد مثل الأسرة والأقارب والجيران و الأصدقاء وهابتوس المجال أو الحقل ، إذ يرى بورديو بأن لكل مجال من مجالات السياسية و الاقتصادية والثقافية الهابيتوس الخاص به، وهي تتمثل في مجموعة المهارات والأساليب الفنية ونظم المعتقدات الواجب توافرها في الأعضاء المنتمين للمجال .

(عبد الرحمان بن عبد الله الشقير ، 2020 ، ص24)

و اعتمادا على مفهوم الهابيتوس يمكن تعيين مظاهر التمايز الاجتماعي للأفراد من خلال سلوكهم اليومي في الشارع و المدرسة والبيت و أماكن العمل ، وهن طريق المشي والجلوس والنوم والأكل والحديث و القيم و الإتيكيت والأخلاق ...إلخ..

وما سبق ذكره لا يعني ستاتيكية "الهابيتوسات" أو كما يقول بورديو**إبيتوس** الأفراد غير محكوم بالقدرة المحتوم عليهم فهو قابل للتعديل والتصحيح بعد كل ممار سة وتجربة فيجعل ذلك الفرد " هابتوسا" يتماشى ومحيطه السوسيو ثقافي وقد يصل إلى إنتاج بنية جدية تنسق الاستعدادات تختلف تماما عن التي ورثها و إكتسبها من أسرته.

(عمر داود، 2013 ؛ ص 213)

5- خصائص الهابيتوس

بالعودة إلى التعريف الذي قدمه بورديو لمفهوم الهابيتوس يمكن الوقوف على أهم الخصائص وليس مجملها والتي يمكن تحديدها في جملة الخصائص التالية :

الهابيتوسأنسقة من الاستعدادات الدائمة والقابلة للتحويل :

ويقصد بذلك أن الهابيتوس يكون في إطار النسق الاستعدادي الفردي وهو كذلك بمثابة تنوع بنيوي إشتقاقي يعبر الفرد من خلاله عن فردانيته وعن طباعه الخاص الذي يميزه عن باقي الأفراد، ونسق هذه الاستعدادات الدائمة يجعل الفعل غير صادر عن إرادة واعية ولا عن استجابة لمنبهات خارجية، لكن كمسار دائم قادر على التكيف حسب الموضوعية التي تحيط بالفرد.فالهابيتوس هو آلية لا واعية ، لا تنتج عن إرادة حرة وواعية بل يشتغل بكيفية لاواعية.

فرغم الاختيارات والمواقف التي يتبناها الأفراد تبدو لهم تلقائية وتعبير عن رغباتهم فهي حسب "بورديو" تعبير عن حتمية صارمة، تتمثل في آلية الهابيتوس.**(DUBAR (cl), 1991 ; p65)**

وهذا يعني أن كل الأنشطة التي يعبر عنها الفرد سواء كانت رمزية حركية أو عملية فهي شكل من الاستظهار لاستيطان فهو ثقافي و اجتماعي، حددت خلال مراحل التنشئة الأسرية أو تحت تأثير المحيط الاجتماعي والثقافي للفرد

الهابيتوس في بنية تكوينية يمتلك شقين متكاملين، شقالاستظهار وشق الاستيطان، حيث يشكل الاستظهار آلية أولية في اشتغال الهابيتوس وذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية والتي تسمح باستدخال العالم الاجتماعي أي الاستيعاب الخارجي بمعنى اكتساب الفرد أو الفاعل مجموعة من الموارد بينما يقوم الشق المقابل بآلية الاستيطان أو استخراج الداخلي ، وذلك بسبب دور الأخير يصبح بنية عن طريق إنتاج مجموعة من مخططات التوليدية التي يمكن اعتماد عليها كلما اقتضت الظروف، ومن هنا نلحظ أن ثمن تجانسا وتطابقا وتماثلا بين البنية الذاتية والبنية الموضوعية اللتين يتحكم فيهما الهابيتوس بمعنى أن الهابيتوس يلعب كوسيط بين داخلي وخارجي

(Juliette Grange , 2009 ; p48).

الهابيتوس نتيجة الاشتراطات : ناتج عن ظروف حياتية معينة ومن خلال هذه الخاصية ركز بورديو على أهمية البعد الاجتماعي كمرجعية للهابتوس الذي يأتي نتيجة للبنيات الاجتماعية، ونتيجة البنيات الداخلية والذاتية ، الخارجية والمكشوفة.**(هشام صالح ، 1995 ؛ ص69)**

وبذلك فالهابيتوس هو نتاج التفاعل الحاصل بين البنيات الداخلية المستدخلة و بين البنيات الاجتماعية الموضوعية الخارجية.

-الهابيتوس ليس التمثلات أو التصورات.

الهابيتوس ليس عبارة عن تمثلاتأو عمليات ذهنية محضة كما ان التمثلات لوحدها لا يمكنها أن تشكل هابتوس، بل هو تلك المبادئ في الإختيار بعد أن يتم إستدماجها ، لتتحول إلى مواقف في الفعل ، تلك القيم والتمثلات هي طريقة في التصرف والجلوس والمشي والكلام .

وحيث ذهب بورديو عكس معظم الدراسات السيوسيولوجية للسلوك ، حيث سعى إلى فهم كيف تصبح الأجساد محطة بالمعارف ، أي بمهارات إتقان الأقوال والأفعال ، كونه إفترض الممارسة أو الفعل ... كما يشرح الهابيتوس بأنه الذاتية المتجسدة التي لا تتكون من الجسد فقط و إنما أيضا من المفترضات العقلية ، أي من كل الأشياء العقلية غير قصدية واللاواعية والوعي الذي يدخل في عداده مكونات الهابيتوس هو وعي لا إرادي ، وهذه الخاصية هي ما تسمح بإنبثاق نوع من الحرية اللاواعية أو قليلة الوعي التي تسمح بنسيان منشأها .

(عائشة نجار، 2020 ؛ ص 538)

الهابيتوس كإنتاج للتاريخ :

الهابيتوس تعبير عن ميولات الأفراد تعمل في نطاق الخبرات السابقة للفرد وتركب معها ليتمكن الأفراد في آخر المطاف من القيام بعدة أعمال باعتباره " **نتاجات تارية**"، فالهابيتوس يخلق ممارسات فردية وجماعية .

(لمياء مرتاض نفوسي، 2017 ؛ ص 235)

والميول على سبيل المثال إلى هذا الفن "**شعر الملحون**" يجد جذورهفي التنشئة الاجتماعية حيث يتلقى فيها الأفراد مجموعة من المعارف التي ستوجه سلوكهم فيما بعد وتحدد اتجاهاتهم وحتى أذواقهم وبالتالي يتكون لديهم نسيج من المعارف والمهارات والممارسات التي يشعرونها من النسق الثقافي الخاص بهم .

تاريخ الممارسات والتجارب الفردية والجماعية في تطابق مع الخططات الصادرة عن هذا التاريخ ، ويقوم بوظيفةاستحضار فعال للتجارب السابقة ، إنه بمثابة ماضي يفعل في الحاضر ويسعى إلى استمرار في المستقبل، إنه ذلك التاريخ المنسي والمجسد والحاضر كمبدأ مولد لسلوكات الأفراد والجماعات وبالتالي فإن مهوم الهابيتوس بقدر ماهو نتاج التاريخ بفدر ما هي إعادة إنتاج للتاريخ.**(BOURDIEU , 1980 ; p40)**

يمتلك الإنسان الوعي بوجود الهابيتوس عندما يجد نفسه داخل وسط غير وسطه ولا يعرف قواعد اللعب فيه، التحدث ، طرق التصرف، السلوك والكلام الشعبي الصريح والأرستقراطي هي هبيتوسات لغوية، يؤكد بورديو في كتابة "تأملات باسكالية 1997"، إن إحدى الوظائف الأساسية للمفهوم هي إزاحة وهمين متداخلين من وجهة أولى النزعة الآلية التي ترى بأن العمل هو نتاج آلي لإرغام أسباب خارجية، ومن جهة ثانية ، النزعة الغائية التي ترى خاصة مع نظرية الفعل العقلاني – أن الفرد يتصرف بطريقة حرة وواعية .

(عبد الجليل الأزدي ، 2003 ؛ ص ص 54 ، 55)

الهابيتوس كبنيات ناظمة وبنيات منتظمة :

يعتبر بيير بورديو انطلاقا من هذه الخاصية أن مفهوم الهابيتوس بمثابة بنية تنتظم داخلها وتتحدد من خلالها سلوكاتالأفراد،كبنيات ناظمة لأن الفرد يتمتع بهامش من الحرية للتأثير في هذه البنياتوبقدر ما هو محدد بنيات إجتماعية موضوعية بقدر ما هو قادر على طبع هذه البنيات بطابعه الخاص وبهذا المعنى يصبح الهابيتوس بمثابة القدرة لا نهائية لكن محددة، تنسجم فيها إدراكات و أفعال وتمثلات و أحكام ومواقف وهذا ما عبر عنه بورديو، بكون الهابيتوس مبدأ مولد**(DUBAR (cl), 1991 , P66)** .

ويؤكد بورديو أفكار روكنبارث، يرى أنه لا يوجد ما هو طبيعي أو حتمي حول مجموعة معينة من الأذواق والنزعات فهي عشوائية بمعنى أنها نتاج التنشئة اجتماعية لأسلوب حياة المجموعة، وليس ميلا طبيعيا وفقا لبورديو، فإن العشوائية الثقافية هي الحالة التي يكون فيها الأفراد غير مدركين أن أذواق مجموعتهم أو أي مجموعة أخرى وتفضيلاتهما ما هي إلا نتاج توجيه اجتماعي (يحدث معظمه بلا وعي) وليست حتمية وطبيعية، ومن جهة أخرى هناك بعض الحالات والظروف التي يكون فيها الأفراد على وعي ...**(تر: لما نصير ، 2012 ؛ ص 245)**

على سبيل المثال يوجد لدينا إدراك لما يحب أفراد مثلنا بمعنى يأكلوا أو يشربوا ويفعلوا ، هذا من جهة ، من جهة أخرى يدرك الأفراد أذواقهم ونشاطهم على المستوى الشخصي الخالص ، وفي الواقع أن ما يميز الذوق الخاص بنا لا يتضح لنا إلا عندما نقارنه بممارسات أفراد آخرين و أذواقهم .

وبالعودة إلى تعريف الذي قدمه بيير بورديو لمفهوم الهابيتوس يمكن تحديد أهم خصائصه كما يلي :

- يقوم الهابيتوس كما صاغه بورديو على انه مجموعة من الاستعدادات المتجانسة تفضي إلى مبدأ وحدة الممارسات، فأن تمتلك استعداد حسب بورديو معناه أن تكون ميلا إلى التصرف بانتظام وبطريقة معينة في ظرف معطى.

(تر: الزهرة ابراهيم ، 2013 ؛ ص 39)

وهذا مناف للأيقينية الأفعال الاجتماعية وتعدد سياقاتها، فبورديو في نظر لابير يمارس نوعا من التعميم المفرط دون مراعاة تعدد السياقات التي يعيشها الفرد وبالتالي يقترح ضمن رؤية مجددة لسوسيولوجيابورديو أن تقوم على التعددية وعلى فكرة لا تجانس الاستعدادات و إمكانية تناقضها أحيانا، فهو يرفض وحدة الذات لدى الفرد ولا يقبل بالحد أو المنطق الواحد في التفسير ويؤكد بضرورة أن نأخذ بعين الإعتبار أحكام وسياقات الكشف عن الاختلاف والتمايز أثناء تفسيرها للممارسة والمعادلة التي يضعها لابيير: **إستعدادات، السياق، الممارسة(برنار لابير ، 2015 ؛ ص 21)**

- ✓ فالهابيتوس يعد أحد أبرز المفاهيم و أكثرها شهرة ذلك لأنه فكك الممارسات الاجتماعية في الحياة اليومية إلى أصغر جزئيات و أعاد تركيبها على مبدأ "**التمايز**" بين الطبقات الاجتماعية .

(عبد الرحمان بن عبد الله الشقير ، 2020 ، ص24)

- ✓ ومن بين المميزات والخصائص العامة للهابيتوس قدرته على امتلاك جملة من الخصائص كالاستمرارية والبقاء وقدرته على جذب الأفراد خاصة حينما يتم التوافق والتماشي بين الأفراد والمجتمع، كما يتم توريثه ونقله من جيل لآخر، فيحفظ قابليته للاستعمال من طرف لآخر، حسب المتغيرات التي تطرأ على صعيد المهنة، وعلاقات القرابة والتجارة والأفعال الذاتية والاعتقادات الشخصية إلى قوالب مضبوطة من القواعد والتحديات الموضوعية.

(تر: الزهرة ابراهيم ، 2013 ؛ ص 285)

خاتمة :

انطلق بورديو من نقاط مختلفة ومقاربات متمايزة وقد اتضح من خلال عرضنا لمفهوم الهابيتوس وآلية اشتغاله ، فقد أكد بورديو أن الهابيتوس هو استعداد نظري مكتسب بمعنى أنه يحدد كل اللواحق الفكرية التي تنجر عن التموقعوالانتماء، فالهابيتوس هو ذلك المجتمعي الذي يحل في الجسم عن طريق التعليم والترويض هو التاريخ الذي يسكن الأشخاص في صورة ذلك النظام القائم على المؤهلات والمواقف المبادئ والاختيارات والأذواق... هو الحضور الفعال للماضي الآلي هو ما اكتسبناه واستقر بصفة دائمة في الجسم على شكل مواقف تمثلات ... فالهابيتوس قد يحتاج إلى تتابع أجيال حتى يتم تجاوز الشرطية الاجتماعيةللانتماء من خلال تعاقب الأجيال .

وعلى الرغم من بعض الانتقادات التي وجهت لبورديو فقد قام بتحديد دقيق للمفاهيم مركزية التي اعتمد عليها في تحليله لظواهر الاجتماعية مختلفة في المجتمعات الحديثة والتي قام من خلالها بصياغة نظريات أثبتت صحتها .

المراجع

1. صبور محمد. 1995. *المعرفة* والسلطة *في المجتمع العربي* . بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
2. Bernaud . (2008). Cet coulmant B, les courants .
3. BOURDIEU . (1980). le sens pratique. Paris: Edition de minuit.
4. BOURDIEU .(1984) .(Les Héritiers . Paris : Edition de minuit.
5. Claude Dubar. (2015). La socialization : construction des Identités sociales et professionnelles Armand Colin. Paris.
6. DUBAR (cl). (1991). socialisation , construction desidentites sociales et professionnelles , . *2ème édition P.UF* . Paris .
7. Juliette Grange .(2009) . thabutusde la philosophieàla sociologie et retour, dans marieAneles couret , Pierre Bourdieu : un philosophe en sociologie.
8. Mander , Margs . (1987). *The sociologiy of culture and cultural studies : AC sitique european journal of go miniction .*
9. Philipe Cabin. (2000). Dans les coulisses la domination , dans la sociologie historie et idées . France : Editions sciences himaines .
10. Pierre BOURDIEU. (1972). Esquisse d'une théorie de la p^ratique . Genève Droz , Paris: Edition de minuit.
11. برنار لابير . (2015 1). عالم متعدد الأبعاد : تأملات في وحدة العلوم الإجتماعية ، ترجمة بشير السباعي ، المشروع القومي للترجمة ،. *دار أفاق للنشر والتوزيع ، الطبعة 01* . مصر .
12. بيير أنصار . (1992). العلوم الإجتماعية المعاصرة ، ترجمة نخلة فريفي . *المركز الثقافي العربي ، الطبعة 1* . بيروت .
13. (2013). ستيفان شوفالييه ، كريستيان شوفيري تر: الزهرة ابراهيم . ، معجم بورديو ، الطبعة 01. دمشق .
14. (2013). ستيفان شوفالييه ، كريستيان شوفيري تر: الزهرة ابراهيم .، معجم بورديو ، الطبعة 01. دمشق .
15. (2013). كريستان شوفيري ، ترجمة الزهرة إبراهيم تر: الزهرة ابراهيم.، معجم بورديو. *الطبعة 1*. دمشق.
16. (1996). *بيار بورديو : أسباب عملية إعادة النظر بالفلسفة ، ترجمة أنور مغيث* . الجماهيرية الليبية :الدار الجامعية للنشر والتوزرع ، طبعة 1.
17. (2000). بورديو العقلانية العملية تر: عادل العوا . . *دار كنعان* . سورية .
18. (2012). ديفيد إنفليز ، جون هبوسون ، ترجمة لما نصير. *مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، طبعة 1* . بيروت.
19. صلاح الدين لعريني. (2014). مفهوم الهابيتوس عند بيير بوردية. *مجلة العلوم الإجتماعية(العدد 09)* . المغرب.
20. عائشة نجار . (2020). بين مخيال دوران وهابيتوس بورديو تجاذبات وتقاطعات. *المجلد 34 (العدد 02)* . جامعة الجزائر.
21. عبد الجليل الأزدي . (2003). بيير بورديو ، الفتى المتعدد والمضياف ، المطبع والوراقة الوطنية ، الطبعة 01. مراكش ، المغرب.
22. عبد الرحمان بن عبد الله الشقير . (2020). رأس المال الثقافي استراتيجيات النجاح في الحياة تبدأ من الجامعة . *ابن نديم للنشر والتوزيع* . بيروت ، لبنان .
23. عبد العزيز خواجة. (2005). مبادئ التنشئة الإجتماعية . *دار الغرب* . وهران ، الجزائر.
24. عبد الغني عماد . (2008). سوسيولوجيا الثقافة مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت .
25. عبد الوهاب أشرف . (1999). نظم التعليم وبطالة قوة العمل ، دراسة ميدانية لبطالة المتعلمين في الريف . *رسالة ماجيستير ، كلية الآداب* . جامعة حلوان .

26. علي سالم ، بيار بورديو. (1996- 1997). نظام الاستعدادات والتصورات الدولة ، إكتشاف بورديو للبعد الرمزي. *مجلة كتابات معاصرة، المجلد الثامن (العدد 29)* . بيروت .

27. عمر داود. (2013). التصنيف الطبقي بين الأبيتوس و الرأسمال ، قراءة في سوسيولوجية بيار بورديو. *مجلة الواحات للبحوث والدراسات(العدد 18)* ، الجزائر . غرداية .

28. لمياء مرتاض نفوسي. (2017). مفاهيم أساسية لدى بورديو مقاربات فلسفية. *المجلد 04(العدد01)* . جامعة مستغانم.

29. مالية حمداني . (2009). *ميراث القبائلية بين التصدي للأعراف والحاجة المادية ، رسالة ماجيستير*. جامعة الجزائر.

30. هشام صالح . (1995). بورديو بين كارل ماركس ، ماكس فيبر . *مجلة الفكر العربي ، مركزالإنماء القومي ، العدد 37* .